نِصــف ميِّت

info@darak-eg.com
02 24832669-010 27251915
51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

نصف ميت
حسن الجندي
تصميم الغلاف: أسامة علام
تدقيق لغوي: سارة صلاح
رقم الإيداع: 2021/10442
الترقيم الدولي: 978-977-6634-57-2
صدرعام: 2010
طبعة: 2021

حسن الجندي

نِصــف ميِّت

رواية

إهداء

إلى والـدي رحمـه اللـه، كنـت أتمنـى أن أراك ولـو لمـرة واحـدة في حيـاتي.

إلى جـدي رحمـه اللـه، أتمنـى أن أتحـدث معـك ولـو لثانيـة واحـدة.

(أُهدي هذه الرواية إلى الموكَّل بقبض روحي..

إلى ملك الموت)

الإهداء المكتوب في الرواية الأصلية

مقدمة

شكر خاص لكل من سمح لنا باستخدام أحداث حياته الواقعية في هذه الرواية، وكل مَن وافق على استخدامنا لمعلومات حقيقية عن أشخاص راحلين يمتون له بصلة قرابة، ونهدي لهم هذه الرواية محققين وعدنا بعدم نشر الأسماء أو الأماكن أو التواريخ الحقيقية بقدر الإمكان، حفاظًا على حريتهم الشخصية واحترامًا لحرمة الموت.

قمت بإعادة كتابة تلك الأحداث بتوجيهات من الأشخاص الحقيقيين أو من أقربائهم الأحياء.

الفصل الأول

(البداية)

5 أغسطس 2006، الساعة التاسعة

هذا السائق يعرف طُرَقًا غريبة بحق، فهو يقود الحافلة متجهًا إلى الإسكندرية ولكنه يسلك طرقًا عجيبة ويقف عند محلات مأكولات كثيرة، ويعلن للركاب أنهم يمكنهم النزول لعشر دقائق لشراء ما يحتاجونه، يعرف الركاب بالطبع أنه يتفق مع تلك المحلات مسبقًا كي يأتي بالركاب إليها، ولكن ما باليد حيلة.

فيجب عليهم أن يتحملوا بصبرٍ حتى يصلوا إلى الإسكندرية بسلام، مرت ساعتان منذ تحركهم من موقف السيارات في القاهرة، وقد ساعد الظلام داخل الحافلة على انتشار النوم بين الركاب، حتى إن الجميع لم يعترضوا على وقوف السائق أكثر من مرة على جانب الطريق ليدخن سيجارة ثم يعود ليكمل مرة أخرى السير..

هدوء تام داخل السيارة إلا من بعض الأشخاص الذين يستيقظون بين الحين والآخر، ينظرون حولهم بنصف عين ثم يغيرون أوضاعهم ليكملوا النوم مرة أخرى، خذ عندك مثلًا هذا الشاب الذي يجلس بجانب إحدى النوافذ وهو يرتكن برأسه للوراء ويبتسم ناظرًا إلى السقف، يبدو أنه يسرح في عالم من الخيالات السعيدة.

وخاصة وهو يقرب إليه علبة صغيرة يقبض عليها بين يديه، ثم يفتحها لتظهر داخلها دبلة ذهبية صغيرة بجانب دبلة أخرى من الفضة، وعلى الدبلتين نُقشت حروف بارزة.. نظر الشاب حوله ليتأكد من أن أحدًا لا يراقبه، ثم قرَّب الدبلة الذهبية من شفتيه وقبَّلها وهو يغمض عينيه متخيلًا حبيبته، أعادها مرة أخرى ليده ليطبق عليها وينظر لسقف السيارة ويعيش في تخيلاته مرة أخرى..

عندما كنت صغيرًا شاهدت أحد الأفلام القديمة، وفي بداية الفيلم تُظهر لقطةٌ الكثيرَ من الناس يسيرون في الشارع، ثم يقول الراوي إن لكل واحد من هؤلاء حكاية مختلفة، ويمكن للمشاهدين اختيار أحدهم كي يبدأ الراوي في سرد حكايته.. وأنا أيضًا أقول إن لكل شخص في تلك الحافلة حكاية وطموحات وأحلامًا وأفكارًا. جميعهم اجتمعوا في تلك الحافلة متجهين إلى مكانٍ واحدٍ.

من المفترض أن يكون هذا المكان هو الإسكندرية، لكن منُ صُدَف القدر أنه في بعض الأحيان هو الذي يختار المحطة التي نتجه إليها، هو الذي يحدِّد وجهتنا. بجوار الشاب الذي يمسك بالعلبة الصغيرة وينظر حالمًا لسقف السيارة، هناك هذا الشاب الذي يغمض عينيه، ولكنه يفكر بعمق وهو يقطب حاجبيه ويتذكر ذكريات لا يبدو أنها مبهجة؛ لأن يديه تقبضان بقوة على مسند مقعده، هل عيناه يخرج منهما ما يشبه الدموع أم إنه خداع بصري؟ هناك دموع مترقرقة في عينيه ولكنه يحبسها بقوة..

ربما هذا السائق له قصة ما هو الآخر ولكننا لا نعلمها، إنه عم (محمد) الرجل الطيب الهادئ الذي لا يضع بالاً لشيء في حياته، يصلي

الفـروض في أوقاتهـا ويتطـوع لصـوم أيـام كثـيرة مـن كل شـهر، رزقـه اللـه بابنتـه الوحيـدة (سـمية) نـور عينيـه، والتـي يحبهـا أكـثر مـن نفسـه، يوفـر لهـا كل مـا تحتاجـه كي تظهـر بمظهـر لائـق أمـام زميلاتهـا في الجامعـة.

وهـي ليسـت تلـك الفتـاة التـي تظهـر في الأفـلام القديمـة وتخجـل مـن مهنـة والدهـا.. بـل تفتخـر بـه أمـام كل مـن تعرفهـم، وتفتخـر بكفاحـه في سـبيل تربيتهـا، وهـي أيضًـا لم تبخـل عـلى والدهـا وجعلتـه يفتخـر بدخولهـا كليـة الطـب كـما حلـم هـو لهـا.

زمـلاؤه أصبحـوا ينادونـه (أبـو الدكتـورة)، وهـو يبتسـم لهـم وتـكاد الدمـوع تنفجـر مـن عينيـه مـن الفرحـة في كل مـرة يسـمع فيهـا ذلـك اللقـب، مـن الصعـب وصـف تلـك العلاقـة بينـه وبـين ابنتـه، والتـي تكونـت منـذ أول لحظـة ميـلاد لهـا، عندمـا أقسـم بداخلـه أن يلبـي كل طلباتهـا حتـى ولـو مـات في سـبيل ذلـك، ربمـا لذلـك يقبـل عـم (محمـد) ببعـض التنـازلات، ربمـا يقبـل بـأن يقـوم باسـتخدام بعـض حافـلات الشركـة بعـد أوقـات عملهـا الرسـمية في تشـغيلها عـلى خطـوط القاهـرة بـدون علـم الإدارة.. يحـدث هـذا مـرة كل أسـبوع عـلى الأكـثر، ويسـاعده في ذلـك بعـض زملائـه؛ لأنـه يسـاعدهم هـو الآخـر في إخـراج بعـض الحافـلات لخطـوط أخـرى..

مصاعـب الحيـاة هـي مـا تجعلـه يفعـل هـذا، مـن داخلـه أصبـح لا يعـرف هـل مـا يفعلـه حـرام أم حـلال.. لكـن الراتـب لا يكفـي منـذ القـدم، و(سـمية) كـبرت وتحتـاج لملابـس كثـيرة ومـصروف يومـي يليـق بسـنِّها، وطعـام.. وكل ملـذات الحيـاة التـي يجـب توفيرهـا، مـا يفعلـه خطـر عليـه، ولـو حـدث وكُشـف أمـره سـتكون نهايتـه، ولكنـه يخاطـر بـكل هـذا في سـبيل الابتسـامة التـي يراهـا عـلى شـفتي (سـمية) وهـو يعطيهـا مـا تريـد ويربـت عـلى كتفهـا

بحنان، كل هذا يهون في سبيل أن يراها تقفز من على الأرض ثم تقبله وهي فرحة بتلبية أحد مطالبها..

يتمنى من الله أن يسامحه على ما يفعله، ويقول لنفسه إنه لا يضر الشركة في شيء في تلك المرة التي يستخدم فيها الحافلة في غير أوقات عملها الرسمية، حتى في آخر مرة والتي استخدم فيها هذه الحافلة بالذات أمس داخل القاهرة، واكتشف وجود مشكلة في المكابح في آخر اليوم؛ قرر أن يصلحها بنفسه، ولكنه لم يستطع بسبب دخولها الخدمة اليوم.

ولكنه ينوي أن يصلحها بمجرد أن يعود للقاهرة مرة أخرى، ولا مشكلة تخيفه، فهو يمتلك الخبرة التي تجعله يقود هذه الحافلة بحالة مكابحها تلك، ولن يعلم أحدٌ بذلك ولا خوف عليه.. صحيح أن الليل شديد السواد، ولكن لا مشكلة.

صحيح أنه لا يعرف لماذا يفكر الآن في ابنته (سمية) بتلك الطريقة الغريبة، وكأنه يخاف عليها، ويشعر بأنه يحتاج لرؤيتها حالًا، ولكن لا مشكلة، لا مشكلة، فالحياة تسير بهدوء، وما عليه سوى أن يعبر شريط القطار هذا ويسير قليلًا ليتوقف عند مقهى الفيومي الذي يأخذ منه إكرامية على كل مرة يقف فيها عنده، إنه يقترب من الشريط ولكن هل يرى جيدًا أم إنه يتخيل؟ الشريط مغلق، إذًا هناك قطار سيمر الآن..

بالفعل هذا هو صوت عجلات القطار، لا مشكلة سيتوقف بالقرب من الشريط حتى يمر القطار، ثم يمر هو عندما يُزيل العامل تلك السلسلة الرفيعة التي تمنع المارة، ها هو يقترب والقطار يقترب أيضًا، رفع قدمه قليلاً من على دواسة الوقود وهو يضغط على دواسة المكابح.. ماذا يحدث؟

حـاول مـرة أخـرى، ولكـن الحافلـة تسـير بنفـس سرعتهـا السـابقة، أو بسرعـة أقـل قليـلاً مـن جـرَّاء التقليـل مـن ضغـط دواسـة الوقـود، شـعر بالارتبـاك بالفعـل عندمـا تخيَّـل مـا سـيحدث، بقيـت أمتـار عـلى شريـط القطـار والمكابـح لا تعمـل، مـاذا حـدث لهـا، لقـد كانـت تسـتجيب ولكـن ببـطءٍ، أمـا الآن فهـي لا تسـتجيب أصـلاً!!!

القطـار يقـترب، وصوتـه يعلـو، والحافلـة تقـترب أكـثر، رفـع قدمـه مـن عـلى دواسـة الوقـود، ولكـن الحافلـة تقـترب أكـثر، مـاذا يفعـل؟ مـاذا يفعـل؟

لـو حـاول الانحـراف الآن مـن المحتمـل أن تنقلـب الحافلـة وهـي بهـذه السرعـة.. هنـاك احتـمال أن تسـتطيع الحافلـة عبـور الشريـط قبـل أن يصطـدم القطـار بهـا.. أغمـض عينيـه وهـو يتذكـر كميـة الاحتـمالات التـي كان يمكنـه أن يفعلهـا ولكنـه نسـيها الآن، لم يـرَ شـيئًا سـوى صـورة ابنتـه وهـي تحتضنـه وتقبِّلـه.

الحافلـة تقطـع السلسـلة وتعـبر الشريـط، ولكـن القطـار يصطـدم بهـا فتنقلـب، ثـم يدفعهـا القطـار للأمـام، ركاب الحافلـة لم يطلقـوا أي صرخـات، فقـد كانـوا يغطـون في النـوم، فتـم كل شيء بسرعـة وقبـل أن يشـعر أحدهـم بـأي شيء، إنـه القـدر بالفعـل.

***

نفس الليلة..

ليلـة حـارَّة.. وربمـا لم يفكـر رجـال الشرطـة كثـيراً هـل شـدة الحـرارة كانـت مـن حـرارة الجـو أم مـن تلـك السـخونة المتصاعـدة مـن الدخـان الـذي يخـرج مـن منطقـة الحـادث، رجـال الإطفـاء يغـادرون المـكان بحـذرٍ بعـد أن

انتهوا من عملهم وخمدت النيران العنيفة التي اشتعلت جراء انفجار تم بالحافلة بعد اصطدام القطار بها، الانفجار لم يعلم أحدٌ سببه، ولكنه سبَّب الكثير من الفوضى، وخاصة بعد أن انقلب جزءٌ من القطار بعد خروجه عن القضبان، واشتعلت النار بعد انفجار الحافلة..

في القطار مات عشرة أشخاص، وفي الحافلة اثنان وثلاثون شخصًا، والباقون على قيد الحياة، بالرغم من تجمع الأهالي حول مكان الحادث؛ إلا أنهم لم يقتربوا من منطقة الاصطدام التي توقَّف عندها القطار بعد خروجه عن القضبان، وإن كان السبب الحقيقي وراء عدم اقترابهم ليس احترام النظام، وإنما ذلك المشهد الذي يثير الغثيان؛ فالحافلة مفتوحة من الوسط، وأجساد متفحمة تخرج منها وكأنها كانت تحاول الهرَب، وأجساد أخرى ملتصقة ببعضها، وأعضاء بشرية ملقاة على الأرض، حتى إن رجال الإسعاف كانوا يتحركون ببطءٍ شديدٍ؛ لصعوبة التفرقة بين الأحياء والأموات..

مشهد مقزز ويصعُب وصفه ويبعث على القشعريرة أكثر منه يبعث على الحزن، بصفة عامة كان جو من الإحباط يسيطر على الجميع ويجعلهم يتصرفون بحزنٍ شديدٍ.. قُرب الحادث بأمتار، وسط الواقفين، ووسط أصوات الاستنكار من الناس وكلمات الحسرة والدعاء للمتوفين، قال أحدهم لصاحبه وهو يشير أمامه إلى جثة يبدو أن صاحبها قد خرج من الحافلة بعد الحادث: لحظة.. ما هذا؟ عندما نظر صديقه للجثة لم يفهم لماذا يشير لها، ولكن لاحظ أن رأس الجثة مشوَّه ومكسور العظم، وقد ضاعت ملامحه وملامح جسده الباقية بسبب الحروق الشديدة، اليد اليسرى للجثة متآكلة، كما أن الجسد نفسه متهتك و... اتسعت